صعود نجم الهند وتوقفه

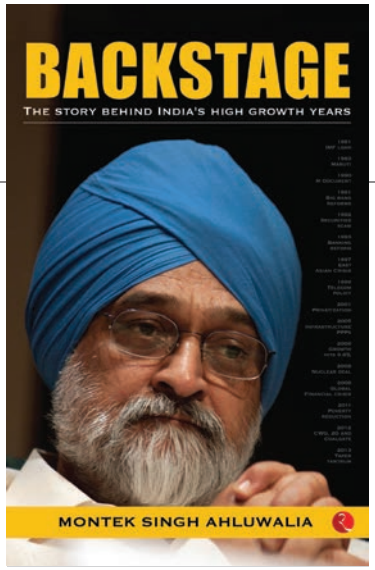

مونتك سينغ أهلواليا
من وراء الكواليس: القصة وراء سنوات النمو العالي في الهند

Montek Singh Ahluwalia
Backstage: The Story Behind India's High Growth Years
Rupa Publications
New Delhi, 2020, 464 pp., $35.99

يعرض مونتك سينغ أهلواليا رؤية قيِّمة من وراء الكواليس لصناعة السياسة الاقتصادية في الهند بين عام ١٩٧٩، عند عودته إلى موطنه بعد فترة أمضاها في العمل بالبنك الدولي، حيث عملنا معا لفترة وجيزة ونشأت بيننا صداقة قوية، وعام ٢٠١٤. إنها قصة نجاح كبير.

كان «أهلواليا» على يقين من أن أي بلد يماثل الهند في الفقر لا بد وأن يكون هدفه هو تحقيق نمو اقتصادي مرتفع. وبدوره، كان ذلك يقتضي التحرير الاقتصادي، مدعوما بإصلاح مؤسسي عملي. ويوضح هذا الكتاب بالتفصيل كيف جعلت أزمة ميزان المدفوعات في عام ١٩٩١ ذلك أمرا ممكنا. وفي إنصاف مستحق، يُعزي الكتاب انتهاز هذه الفرصة لرئيس الوزراء، ناراشيما راو، أحد أكثر رجال السياسة في الهند تعرضا للغبن. ولكن البطل في هذا الشأن هو رئيس الوزراء السابق «مانموهان سينغ»، الذي عمل معه أهلواليا على نحو وثيق طوال الوقت. فقد كان أهلواليا بنفسه هو من قدم الخطة اللازمة في عام ١٩٩٠ مشفوعة بما يعرف باسم «الوثيقة الموثقة» (M Document)، التي «طرحت استراتيجية متكاملة للإصلاح — شملت سياسة المالية العامة، والسياسة الصناعية، وسياسة التجارة، وسياسة سعر الصرف».

وقد حولت هذه الإصلاحات مسار الهند، بلا شك، نحو تحقيق نمو أعلى. وازداد وضوح هذا الأمر في العقد الأول من القرن الجديد، عندما انضم أهلواليا إلى حكومة «التحالف التقدمي الموحد» في منصب نائب «مفوضية التخطيط»، التي يرأسها رئيس الوزراء «مانموهان سينغ»، خلال الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤. وحسب قوله، سجلت الهند «في أول سبع سنوات [في عمر حكومة التحالف التقدمي الموحد] نموا بمعدل ٨,٥٪. وسجلت مؤشرات أخرى أيضا مستويات أداء ممتازة منها على سبيل المثال نمو الصادرات، والاستثمار الخاص، والحد من الفقر».

ومع ذلك، يثير الكتاب أيضا بعض التساؤلات المهمة، نستعرض ثلاثة منها فيما يلي:

أولاً، وفقا لما يذكره أهلواليا عن فترة التسعينات «كان منهج التغيير مزيجا من التدرج في الإصلاح وما أطلقت عليه وقتها اسم «الإصلاح بالتسلل». فلماذا لم يرغب رجال السياسة قط، وخاصة حزب المؤتمر الوطني، في تبني نجاح هذه الإصلاحات والمضي قدما بتنفيذها ووضعها في صدارة منهجهم السياسي؟»

ثانياً، لماذا تباطأت سرعة النمو؟ يخلص هذا الكتاب إلى تفسيرين تكميليين. أحدهما أن النمو كان إلى حد ما نتيجة طفرة ائتمانية غير مستدامة في القطاع الخاص. وأسفر ذلك عن تركة من الشركات المفلسة والمؤسسات المالية الضعيفة — أي «مشكلة الميزانية العمومية المزدوجة».

والتفسير الآخر هو أن الإصلاحات الأولية، المتمثلة أساسا في التحرير الاقتصادي في أعقاب تفكيك نظام «ترخيص راج»، كانت قد حققت في ذلك الوقت كل ما كان بوسعها. وكانت الهند بحاجة إلى إصلاحات من الجيل الثاني، لا سيما إصلاح مؤسساتها. ولكن، وفقا لما كتبه أهلواليا، «لم نلق بالا بالقدر الكافي للحاجة إلى بناء المؤسسات التي كان من الممكن أن تحفز الحوكمة السليمة».

مستقبل الهند الاقتصادي اتسم بدرجة عالية من عدم اليقين، حتى قبل كوفيد-١٩.

وأخيراً، ما الذي حدث بعد ذلك؟ يتناول أهلواليا وصف سجل الأداء الاقتصادي على مدار ست سنوات في ظل حكومة «التحالف الوطني الديمقراطي» برئاسة ناريندرا مودي بأنه «بدأ بدويٍّ وانتهى بأنين». فقد حققت الحكومة إنجازات تحسب لها، لكنها فعلت أشياء غير محبذة (أهمها سحب العملة من التداول) ولم تفعل أشياء محبذة (أهمها حل مشكلة المديونية). وكان مستقبل الهند الاقتصادي يتسم بدرجة عالية من عدم اليقين، حتى من قبل جائحة كوفيد-١٩.

ومع ذلك فقد كان أهواليا نفسه متفائلا لدى عودته للهند في عام ١٩٧٩. وكان متفائلا أيضا طوال حياته المهنية. وهو اليوم، حسب ما يختتم به كتابه، لا يزال «متفائلا لا يلين بأن ... قصة مستويات النمو والتنمية العالية في الهند سوف ... تستمر». ونحن حتما نأمل أن يكون مصيبا. FD

مارتن وولف، هو مساعد رئيس التحرير وكبير المعلقين الاقتصاديين في جريدة فاينانشيال تايمز.